العنوان:	نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف
المصدر:	صحيفة دار العلوم - الإصدار الثاني
الناشر:	جماعة دار العلوم
المؤلف الرئيسي:	عبداللطيف، محمود السيد
المجلد/العدد:	س 3, ع 2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1936
الشهر:	اكتوبر
الصفحات:	29 - 34
رقم MD:	162345
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	اللهجات العربية، علوم القرآن، القراءات، الأحرف السبعة، اللغات، اللغة العربية، القبائل العربية
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/162345

© 2018 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف

بقلم محمود السيد عبد اللطيف

المدرس بدار العلوم

ثبت بطريق التواتر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرءوا ما تيسر منه . » وقد رأيت أن أتناول فى هذا المقال شرح هذا الحديث الشريف ، فأبين الغرض من هذه الأحرف السبعة ، كيف نزلت وجمعت ، وكيف كتبت وقرئت ، وهل المراد بها هذه القراءات السبع التى اشتهرت بين القراء فى الأقطار الاسلامية ، أو هى غير ذلك ؟ وهل هذه الأحرف السبعة وصلت إلينا عن النبي من طريق الكتابة والحفظ معاً ، أو من أحد الطريقين ؟

ذلك ما أرجو بمعونة الله وتوفيقه أن أحاول تفصيله ، وأفصل دليله ، وأسأل الله تعالى أن يحفظنى من الزلل ، ويبعدنى من الخطل ، وأن يلهمنى السداد ، ويرشدنى إلى سواء السبيل .

الأحرف السبعة ليست هى القراءات السبع :

أجمع العلماء على أنه ليس المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع المشهورة ، المنسوبة لسبعة من القراء . وإن كانت قراءاتهم لا تخرج عن الأحرف السبعة ، كما لا يخرج عنها قراءات غيرهم ممن تواترت رواياتهم ، وثبتت لدى جماعة المسلمين صحة نقلهم ؛ ذلك لأن القراء السبعة لم يكونوا قد خلقوا ، ولا تلقوا ما كانوا يقرءون به ، وكان المسلمون من قبلهم يقرءون بما سمعوا من النبي وأصحابه ، مما يوافق ما قرأه هؤلاء السبعة أو يخالفه ، معتمدين فى ذلك على الرواية المتصلة بالنبي (صلى الله عليه وسلم) ، ولو كان المراد بالسبعة الأحرف فى الحديث قراءة هؤلاء القراء المعروفين : لما ساغ لأحد قبلهم أن يقرأ إلا بما يعلم أن هؤلاء السبعة من القراء ، إذا ولدوا

وتعلموا القراءة، اختاروا القراءة به، وإلا كان قارئاً بغير ما أنزل من القرآن؛ وذلك ظاهر البطلان.

وأجمعوا أيضاً على أنه ليس المراد من الحديث الشريف، أن كل كلمة أو جملة منه قد نزلت على سبعة أحرف، ولكن القرآن الكريم ـ فى جملته ـ هو الذى نزل على سبعة أحرف؛ فقد روى فى الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «أقرأنى جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدنى، حتى انتهى إلى سبعة أحرف.»

وقد ثبت بالأحاديث الصحيحة، أن كثيراً من أصحاب رسول الله كانوا يختلفون فى قراءة الآيات من السورة الواحدة، وأن الرسول أمرهم أن يقرأ كل رجل منهم كما علم.

أشهر الأقوال فى الأحرف السبعة:

ونعود الآن إلى المراد بالأحرف السبعة فنقول: إن العلماء قد اختلفوا فى ذلك اختلافا كثيراً؛ فبلغت أقوالهم نحو أربعين قولا، منها:

١ ــ أن الحديث من المشكل الذى لا يدرى معناه.

٢ ــ أن المراد بالسبعة مجرد الكثرة لا حقيقة العدد.

٣ ــ هى ما اشتمل عليه القرآن من وعد، ووعيد، وحلال، وحرام، ومواعظ، وأمثال، وقصص؛ وأنت ترى أن هذا القول وما ماثله، ليس فيه شىء من التوسعة التى طلبها النبى لأمته؛ فإن القرآن الكريم فى أى قراءة من قراءاته، لا يخلو من هذه الأغراض، ولا يقع به ما ثبت وقوعه بين قراء الصحابة من الاختلاف.

٤ ــ أن المراد كيفية النطق، فيكون التغير باختلاف الحركات مع بقاء المعنى، كما فى: «مِتُّم» يُقرأ الفعل بضم الميم وكسرها، وباختلاف المعنى لاختلاف الاعراب، كما فى قوله تعالى: «فتلقى آدم من ربه كلمات.» بجعل آدم فاعلا وكلمات مفعولا، أو بعكس ذلك، وباختلاف المعنى لاختلاف الحروف، مع بقاء صورتها الخطية (بقطع النظر عن الإعجام) كما فى قوله تعالى: «هنا لك تبلو كل نفس ما أسلفت» قرىء تبلو بتاء وباء، وتتلو بتاءين، وباختلاف الحروف مع بقاء

المعنى فى نحو « الصراط » و « السراط » ، أو بتغيرهما معا كما فى قوله تعالى : « وانظر إلى العظام كيف ننشزها » قرئ ننشرها بالراء بدلا من الزاى ، فالنشر بالراء : الإحياء بعد الموت ، والنشز بالزاى : ضم بعض العظام الى بعض ، على الصورة التى تصلح معها للحياة ؛ والمعنى وإن اختلف فى القراءتين يقصد به إلى غرض واحد ، وهو الدلالة على قدرة الله (تعالى) على إحياء الموتى . ومنها الاختلاف بالتقديم والتأخير كما فى قوله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون » ببناء الفعل الأول للمجهول والثانى للمعلوم ، وعكس ذلك ، وقد يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان ، كما فى نحو قوله تعالى : « وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار » وقرىء من تحتها بزيادة (من)

بيان أن المراد بالأحرف اللغات :

٥ — ويرى كثير من العلماء ـ وهو أصح الأقوال وأجمعها لكثير مما فصلته ، وقريب فى جملته من القول الرابع ـ أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب ، هى أشهر لغاتها ، وأفصحها ، وأكثرها دورانا على ألسنة الناطقين بالضاد من أبنائها ، وهذه اللغات السبع قيل من لغات القبائل المضرية وحدها ، وهم : هذيل ، وكنانة ، وقيس ، وضبة ، وتيم الرباب ، وأسد بن خزيمة ، وقريش . وقيل من لغات مضر واليمن وهى : قريش ، وهذيل ، وثقيف ، وهوازن ، وكنانة ، وتميم ، واليمن .

وبيان ذلك أن الحرف يطلق لغة على الوجه ، كما فى قوله تعالى : « ومن الناس من يعبد الله على حرف » أى على وجه من النعمة ، أو الخير ، أو العافية ، أو نحو ذلك فهو باق على عبادته ما بقى له ما رغب فى العبادة من أجله ، فإذا صرف عنه ترك العبادة وكفر ، فخسر الدنيا والآخرة . فسمى النبى هذه الأوجه المختلفة من القراءات من اللغات أحرفا ، على معنى أن كلا منها حرف أى وجه . ويرى كثير من العلماء أن القرآن الكريم نزل أولا بلغة قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، ثم أبيح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التى جرت عادتهم باستعمالها ، على اختلافهم فى الألفاظ والإعراب ، ولم يكلف أحد منهم الانتقال عن لغته إلى لغة

أخرى للمشقة ، ولم تقع هذه الإباحة بالتشهى ، فيكون لهم أن يغيروا الكلمة بمرادفها من لغاتهم ، ولكن ذلك كان بالسماع والنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم . وكان ذلك تيسيرا من الله (تعالى) على أمة النبي ، فقد أمروا أن يقرءوا القرآن فى عباداتهم ، وأن يتقربوا إلى الله بتلاوته ، ولو كلفوا جميعا أن ينطقوا بلغة واحدة ، لشق عليهم ذلك وتعسر ؛ إذ لا قدرة لهم على ترك ما اعتادوه وألفوه ، إلا بتعب وجهد شديد ، وقد لا يستطيع ذلك بعضهم حتى مع الرياضة الطويلة ، كما نشاهد ذلك فى اختلاف اللهجات العربية في بلادنا بالإمالة ، والترخيم ، وإبدال بعض الحروف ، وتغيير الحركات - فى نواحى القطر المختلفة. ومما يدل بأوضح بيان على أن المراد بالأحرف الأوجه من اللغات مارواه الترمذى أن (النبى) عليه السلام قال لجبريل : « إنى بعثت إلى أمة أميين ، فيهم الشيخ الفانى ، والعجوزة الكبيرة ، والغلام » قال : فمرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف ، وفى رواية : فمن قرأ بحرف منها فهو كما قرأ .

تلقى الصحابة القرآن بلغاته السبع :

ولم يقتصر الصحابة (رضوان الله عليهم) فى تلقى القراءات عن النبى (صلى الله عليه وسلم) على لغاتهم وحدها ، بل كان القرشى يتلقى القراءة بلغته وبغيرها مما يقرؤه النبى بلغات القبائل الأخرى ، ولذلك حفظ القراء من المهاجرين والأنصار هذه القراءات المختلفة ورووها لغيرهم وعلموها من أراد أن يتعلم من المسلمين جميعا ، فقد روى البخارى أن عمر بن الخطاب سمع هشام بن حكيم - وهما معا من قريش - يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرأها عمر ، فانطلق به يقوده إلى النبى وقد لببه بردائه ، فأمره النبى أن يرسله وقال : اقرأ ياهشام ، فقرأ ، فقال : كذلك أنزلت . ثم قال : اقرأ يا عمر ، فقرأ ، فقال النبى : كذلك أنزلت ؛ إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ماتيسر منه . وأنت ترى من هذا ان النبى لم يكن يقرأ على كل قوم بلغتهم وحدهم ، بل كان يقرأ بما نزل عليه من اللغات كلها ، ويتلقى عنه من يحضره من الصحابة ما قرأ .

اختلاف اللغات، اختلاف تنوع لا تناقض:

وبعد فلم تكن هذه اللغات السبع، وما تقتضيه من تغاير فى بعض كلمات القرآن الكريم، أو في كيفية النطق بها - مما يستوجب تناقضا فى المعني وتضادا، وانما هو كما ستراه مفصلا - اختلاف تنوع لا تختلف به أحكام القرآن الكريم وحدود الشريعة، ولا يذهب شيء منه بتلك الحلاوة والعذوبة فى أساليبه، أو بتلك البلاغة المعجزة التى تتجلى لك فى معانيه، وكل قراءة من القراءات هى من أختها بمنزله الآية مع الآية، يجب الايمان بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علما وعملا، إذ لم يقع بذلك شيء من الاختلاف فى أوامره ونواهيه، ولا في حلاله وحرامه، ولا فى وعده ووعيده، أو فيما ذكر من أخبار، وضرب من أمثال، وأحكم من موعظة، وأنت واجد من الروعة فيما قد تختلف به القراءات - فلا يقع من ذلك شيء من الاختلاف فى المعنى المراد - ما تجده من الروعة فيما تكرر من القصص والأخبار فى سور القرآن، فجاءت كل قصة فى كل مرة صورة واضحة، ومثلا عاليا للبيان والإعجاز؛ فهذه قصص نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة قد تكررت فى أساليب عربية، مختلفة فى الأسلوب، وفي كثير من الألفاظ، فما زادها ذلك إلا حسنا وجمالا، ولم يختلف مع ذلك شيء من المقصود بها، وكان ذلك برهانا بالغا من العزيز الحكيم، على أن ما تحداهم به من الكتاب الكريم، مما تتسع اللغة العربية لمحاكاته فى صور شتى، لو كان فى مقدور البشر أن يتاح لهم الإتيان بمثله. وكان فى تكرير هذا القصص - زيادة على ما فيه من تثبيت الموعظة - قطع لألسنة المفترين، وإفحام للمعارضين. « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »

اختلاف القراءات باختلاف اللغات:

ونعود فنذكر أمثلة لاختلاف القراءات باختلاف اللغات، تبيينا لما أسلفنا من أن الغرض هو التيسير على هذه الأمة، رحمة من الله ولطفا، فمن ذلك: قراءة الهذليين « عتى حين » يريدون (حتى حين). وقراءة بنى أسد الأفعال المضارعة بكسر أولها فى نحو قوله تعالى: « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » بكسر التاء

فى الفعلين وفى نحو قوله تعالى : « ألم إعهد إليكم يابنى آدم » بكسر همزة المضارعة، وقراءة القرشيين : « الذين يومنون بالغيب » بدون همز (يومن) وقراءة تميم بالهمز وقراءة بعض العرب (عليهم ، فيهم) بضم الهاء ، وقراءة آخرين بوصل الميم بالواو، وقراءة نحو موسى وعيسى ودنيا بإمالة الألف نحو الياء : إلى غير ذلك مما نسمعه من قراء القراءات . كل ذلك مما قرأه النبى ، ورواه الصحابة الأجلاء عنه حفظا وكتابة ، ومما دونه عثمان فى مصاحفه التى بعث بها إلى الأمصار .

زيادة القراءات على سبع :

وبعد ، فإن مما يدور بخلد القارئ، أنا نجد القرآن يقرأ على وجوه كثيرة ، تزيد على سبع ، فإذا كان عدد الأحرف ـ أى اللغات ـ سبعاً فقط كما يدل الحديث الشريف، فمن أين هذه الزيادة ، وكيف تكون قرآنا . وما أنزل القرآن إلا بلغات سبع ؟ ولم أجد فيما قرأت من الكتب من تعرض لذلك إلا من قالوا : إن لفظة سبع فى الحديث للكثرة لا للحصر ، مع أن الأقرب إلى الصواب أنها للحصر وحده .

وأرى ـ والله أعلم ـ أن كل لغة من اللغات كانت تتسع لأكثر من صورة من صور القراءة ، فليس فى قراءة لفظ « مالك » من قوله تعالى : « مالك يوم الدين» بصفة اسم الفاعل ، وبصيغة الماضى ونصب يوم على أنه مفعول به ، وبالاسمية على وزن كتف ـ ليس في مثل هذا اختلاف فى اللغات، ولكنه تنوع فى لغة واحدة ، قد يكون له مثيل فى اللغات الأخرى ، فيجيء من ذلك كله طرق تزيد إلى مالا نعلم عدده ، مما شاء الله أن يجعله رفقا بعباده ، ورحمة ويسرا . والمرجع فيما تجوز القراءة به من هذه الطرق ، إلى أمور ثلاثة انعقد عليها الاجماع : فأولها ، صحة السند، بأن يروى القراءة عدل ضابط عن مثله، وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة القراء الضابطين؛ وثانيها ، أن يكون ما يقرأ به مما يوافق وجوه العربية الشائعة ، وثالثها أن يكون موافقاً لأحد المصاحف العثمانية تحقيقا أو تقديرا ، فكل ما اجتمعت فيه هذه الشروط الثلاثة تجوز القراءة به ، ولا شك أن كل ما ثبتت روايته هو مما له وجه صحيح فى العربية ، ومما دون فى المصاحف العثمانية ؛ فأما ما وافق العربية والرسم ، ولم تثبت روايته ، فلا تسوغ القراءة به إجماعا ؛ لأن مدار القراءة على تواتر النقل ، أو صحة السند .

وسنفصل ما يتعلق برواية القرآن الكريم وجمعه وكتابته فى مقال تال إن شاء الله .

محمود السيد عبد اللطيف